

الكتاب الأول

تمهيد

في حضارة بحر إيجة

من ٣٥٠٠ إلى ١٠٠٠ ق.م.

obeikandi.com

أهم الحوادث في الكتاب الأول

مرتببة حسب تواريخها

ملحوظة : كل التواريخ المذكورة هنا تقريبية ، وتاريخ الأفراد هي تواريخ السنين التي بلغ فيها نضجهم العقل ، وقد افترضنا أن هذه السنين هي التي تكون بعد أربعين عاماً من مولدهم ، أما تواريخ مولدهم ووفاتهم فستذكرها إن استطننا في فهرس الأعلام . وتواريخ الحكام هي تواريخ حكمهم ، وإذا وضنا علامة الاستفهام أمام اسم واحد منهم فعنى هذا أن التاريخ لا تذكره إلا الرواية اليونانية وحدها .

ق . م .

- ٩٠٠٠ - العصر الحجري الحديث في كريت .
- ٣٤٠٠ - ٣٠٠٠ الطور الأول من الحضارة المينوية الهيلادية ، والسيكلادية المبكرة .
- ٣٤٠٠ - ٢١٠٠ العصر الحجري الحديث في تساليا .
- ٣٤٠٠ - ١٢٠٠ العصر البرنزى في كريت .
- ٣٠٠٠ - ٢٦٠٠ الطور الثاني من الحضارة المينوية الهيلادية ، والسيكلادية المبكرة .
- ٣٠٠٠ - استخراج النحاس من قبرص .
- ٢٨٧٠ - أول استقرار معروف في طرودة .
- ٢٦٠٠ - ٢٣٥٠ الطور الثالث من الحضارة المينوية الهيلادية ، والسيكلادية المبكرة .
- ٢٣٥٠ - ٢١٠٠ الطور الأول من الحضارة المينوية الهيلادية ، والسيكلادية الوسطى .
- ٢٢٠٠ - ١٢٠٠ العصر البرنزى في قبرص .
- ٢١٠٠ - ١٩٥٠ الطور الثاني من الحضارة المينوية الهيلادية ، والسيكلادية لوسطى .
- المجموعة الأولى من القصور الكريتية .
- ٢١٠٠ - ١٦٠٠ العصر النحاسي - الحجري في تساليا .
- ١٩٥٠ - ١٦٠٠ الطور الثالث من الحضارة المينوية الهيلادية ، والسيكلادية الوسطى ،
- ١٩٠٠ - تدمير المجموعة الأولى من القصور الكريتية .
- ١٦٠٠ - ١٥٠٠ الطور الأول من الحضارة المينوية الهيلادية ، والسيكلادية المتأخرة .
- (الميسينية) ، المجموعة الثانية من القصور الكريتية .
- ١٦٠٠ - ١٢٠٠ عصر البرنز في تساليا .
- ١٥٨٢ - تأسيس أثينة على يد سكريس .
- ١٥٠٠ - ١٤٠٠ الطور الثاني من الحضارة المينوية الهيلادية الميسينية والسيكلادية المتأخرة .
- ١٤٥٠ - ١٤٠٠ تدمير المجموعة الثانية من القصور الكريتية .
- ١٤٣٣ - دوكلين والطرفان .

- ١٤٠٠ - ١٢٠٠ الطور الثالث من الحضارة المينية الهلنستية (الميسينية) السيكلادية ،
المتأثرة ، قصور تيرنز وميسينية .
- ١٣١٣ - تأسيس طيبة على يد كادموس .
- ١٣٠٠ - ١١٠٠ عصر سيطرة الآخيين على اليونان .
- ١٢٨٣ - عهد بيلوبس إلى إليس .
- ١٢٦١ - ١٢٠٩ هرقل
- ١٢٣٠ - ثيوس في أثينا ، وأه ديب في طيبة ، ومينوس وديدالوس في نوسس .
- ١٢٥٠ - ١١٨٣ «المدنية السادسة» في طروادة ؛ عصر أبطال هومر .
- ١٢٢٥ - رحلة أجمن ن .
- ١٢١٣ - حرب السبعة على طيبة .
- ١٢٠٠ - ارتقاء أجمن ن العرش .
- ١٢٩٢ - ١١٨٣ حصار طروادة .
- ١١٧٦ - ارتقاء أورستيز .
- ١١٠٤ - غزو الدوريين لبلاد اليونان .

الباب الاول

كريت

الفصل الأول

البحر المتوسط

إذا ما دخلنا أبجل البحار كلها وتركنا من خلفنا المحيط الأطلنطي ومضيق جبل طارق ، انتقلنا من فورنا إلى حلبة التاريخ اليوناني . ويقول أفلاطون عن نبي وطنه الذين استقروا في هذا الميدان : « لقد نزلنا في شواطئ هذا البحر كما تنزل الضفادع حول بركة الماء »^(١) . على هذه الشواطئ النائية ، أنشأ اليونان قبل ميلاد المسيح بقرون كثيرة ، مستعمرات مزعزعة غير وطيدة الأساس يحيط بها البرابرة من جميع الجهات : في همرسكوبيوم Hemeroscopium وأمبورياس Ampurias في أسبانيا ، ومرسيليا وتيس في فرنسا ، وفي كل مكان تقريباً بإيطاليا وصقلية . وأنشأ المستعمرون اليونان مدناً زاهرة في قوريني Cyrene بشمال أفريقية وفي نقراطس بدال النيل ؛ وبعثت مغامراتهم النشيطة الحركة والحياة في جزائر بحر إيجه وشواطئ آسية الصغرى في ذلك الوقت البعيد ، كما تبعهما فيها هذه الأيام ؛ وشادوا مدناً كبيرة وصغيرة لتكون محاط لتجارهم الواسعة على شواطئ الدردنيل وبحر مرمرية والبحر الأسود ، ولم تكن أرض اليونان الأصبيلة إلا جزءاً صغيراً من العلم اليوناني القديم .

ترى لماذا نشأت مجموعة الحضارات الثانية على شواطئ البحر المتوسط كما نشأت المجموعة الأولى قبل ذلك على ضفاف الأنهار في مصر وأرض الجزيرة

والهند ، وكما ازدهرت الثالثة بعدها على شواطئ المحيط الأطلنطي ، وكما
يحتمل أن تنشأ الرابعة على شواطئ المحيط الهادى ؟ هل كان السبب فى نشأتها
هو اعتدال مناخ البلاد المطلة على هذا البحر ؟ لقد كانت الأمطار السنوية
تروى الأرض وتخصبها فى الزمن القديم كما تروىها وتخصبها فى هذه الأيام (٢) ،
وكان البرد المعتدل يبعث فى أهل البلاد النشاط ؛ وكان فى وسع الأهلىن
يعيشوا فى الهواء الطلق طوال العام تقريباً ، تدفئهم الشمس ولكنها لا توهن
أجسامهم . ومع هذا فإن سطح الأرض حول هذا البحر وفى جزائره لا يبلغ
من الخصب فى مكان ما مبلغ أرض الأودية الغربية فى أحواض الكنج
أو السند أو دجلة أو الفرات أو النيل . وقد يبدأ جفاف الصيف مبكراً عن
عادته ، أو قد يطول أكثر مما يستحب ، وتحد فى كل مكان فيه الأرض
الحديثة لا تبعد إلا قليلاً من القشرة الغربية المتربة الرقيقة . وتقع إلى شمال
هذه الأراضي التاريخية بلاد معتدلة المناخ وإلى جنوبها أرض مدارية ؛ وكلها
أخصب منها تربة . ولما أضنى الجهد الفلاحين سكان شواطئ البحر المتوسط
وجزائره ، ووجدوا أن التربة لا تجود عليهم بما يعوض عنهم جهودهم ،
أخلوا يتخلون عن فلحها شيئاً فشيئاً ؛ ويستبدلون بذلك زراعة الزيتون
والكرم . وكانت تلك البلاد تتعرض من حين إلى حين إلى أخطار الزلازل ،
فتنشق الأرض تحت أقدام السكان على طول بعض العيوب الأرضية التى
تعد بالمئين ، فترهبهم وتدفعهم إلى نوبات من التقي والإيمان . ولم يكن المناخ
هو الذى جاء بالحضارة إلى بلاد اليونان ، وأكثر الظن أن المناخ لم يكن سبب
قيام الحضارة فى قطر من الأقطار .

أما السبب الذى جذب الناس إلى بحر إيجة فهو جزائره . فلقد كانت هذه
الجزائر جميلة ؛ ولا ريب فى أن الملاح المتعب كان ينشرح صدره حين يرى
اختلاف ألوان التلال المظلمة التى تقوم كاهياكل فوق مياه البحر وتنعكس
عليها . وقبلما يجد الإنسان ، هذه الأيام مناظر أجمل من منظر هذه التلال

أو أكثر منها إثارة لحاسة الجمال . وإذا ما طاف الإنسان ببحر إيجه أدرك لساعته لم أحب سكان هذه الشواطئ والجزائر بلادهم جهنم للحياة أو أكثر منها ، ولم كانوا يرون كما يرى سقراط أن النفي أشد ألماً من الموت . يضاف إلى هذا أن الملاح الذي كان يطوف بتلك البحار في الزمن القديم كان يجد في الجزائر مثورة كاللآلي في جميع الجهات ، وكان يراها متقاربة فلا تكاد سفينة تبعد عن الأرض أكثر من أربعين ميلا ، سواء أكان مسافراً من الغرب إلى الشرق أم من الشمال إلى الجنوب . وإذا كانت هذه الجزائر البارزة فوق سطح الماء هي قتل سلاسل جبلية قديمة ، متصلة بعضها ببعض ، كسلاسل الجبال في بلاد اليونان القارية ، طغى عليها البحر على توالي الأيام^(٣) ، فإن عين الملاح المرتقب كانت تقع على النوام على قلة من هذه القلل المحيية كأنها تحييه وترحب بمقدمه ؛ وكانت أشبه بمنارات تهتدى بها السفن في وقت لم تكن تهتدى فيها بالبوصلة البحرية . وفوق هذا كله فإن حركات الريح والماء كانت تعين الملاح على الوصول إلى هدفه . فقد كان تيار مائي قوى أوسط يسير من البحر الأسود إلى بحر إيجه ، وكانت تيارات أخرى مضادة له تسير نحو الشمال محاذية شواطئ البحر ، وكانت الرياح الشمالية الشرقية تهب بانتظام في فصل الصيف فتساعد السفن التي خرجت من موانئها لتأني بالحلب والسملك والفراء من البحر اليكسيني Euxine^(*) على العودة إلى موانئها في

(٥) كان اليونان يسمون البحر المتوسط **Ho Ponttos** أي المر أو الطريق ، وكانوا يسمون البحر الأسود تسمية يراعون فيها التجميل في اللفظ **Pontos Euxienos** البحر المحب للأضياف - وربما كان سبب هذه التسمية أنه يقابل السفن المقبلة من الجنوب بريح وتيارات معاكسة لها . وكانت الأنهار الواسعة التي تصب مائها فيه ، والفيضاب الكثير الذي يقلل من سرعة البحر يجعلان مستوى الماء في البحر الأسود أعلى من مستواه في البحر المتوسط ؛ ومن أجل هذا كان تيار مائي قوى يتدفق خلال مضيق البسفور (مخاضة الثور) الضيق ومضيق الدنيل إلى بحر إيجه ، وكانوا يسمون بحر مرمره البروپنتيس **Propontis** أي ما قبل البحر .

الشمال . وكان الضباب نادراً في البحر المتوسط ، كما أن أشعة الشمس التي لا تكاد تحتجب عنه ينشأ منها بالليل وبالنهار نسيم البر والبحر ، حتى ليستطيع الإنسان من بدء الربيع إلى آخر الخريف أن يستعين في أي ثغر من ثغوره - إلا القليل النادر منها - بنسيم الصباح في خروجه منه وبنسيم المساء في عودته إليه .

في هذه البحار الصالحة للتجوال نَمى الفينيقيون الكسابون واليونان القواذب فن الملاحة وعلمها ، فبنوا فيها سفناً معظمها أكبر وأسرع من جميع السفن التي كانت تمخر عباب البحر المتوسط قبلهم ولكنها كانت أيسر منها حركة ، وأضحت الطرق البحرية بين أوروبا وأفريقية من جهة وآسية من جهة أخرى مارة بقبرص وصيدا وصور أو ببحر إيجه والبحر الأسود ، وأضحت على الرغم من قراصنة البحر وما يتهددها من أخطار ، أقل نفقة من الطرق البرية الطويلة الشاقة المعرضة للأخطار والتي كان ينقل عليها في الأيام الخالية الكثيرة من تجارة مصر والشرق الأدنى . وبذلك اتجهت التجارة وجهات جديدة ، وضاعفت عدد السكان الحديد ، وأوجدت ثروات جديدة ، فاضمحل شأن مصر ، وأعقب ذلك اضمحلال شأن أرض الجزيرة وفارس ، وأقامت فينيقية إمبراطورية من المدائن على ساحل أفريقية وفي صقلية وأسبانيا ، وازدهرت بلاد اليونان ازدهار الورد المرتوية .

الفصل الثاني

كشـف كـريـت الـثـانـي

« وفي وسط البحر القائم كلون النييد أرض تسمى كريت ، وهي أرض جميلة غنية يحيط بها الماء ، وفيها خلق كثيرون يحظهم العد ، كما أن بها تسعين مدينة^(٤) . » لما أنشد هومر هذه الأبيات ، ولعل ذلك كان في القرن التاسع قبل الميلاد^(٥) ، كانت بلاد اليونان قد نسيت أو كادت تنسى ، وإن لم ينس الشاعر ، أن الجزيرة التي بدت له عظيمة حتى في ذلك الوقت ، كانت في وقت من الأوقات أعظم مما هي وقتئذ ثروة ، وأنها كانت تسيطر بأسطوطها القوي على معظم نواحي بحر إيجه وعلى جزء من أرض اليونان الأصيلة ، وأنها قد أنشأت قبل حصار طروادة بألف عام حضارة من أعظم الحضارات الفنية في تاريخ العالم . ولعل هذه الحضارة الإيجية التي كانت قديمة بالنسبة له بقدر ما هو نفسه قديم بالنسبة لنا ، هي التي عادت إلى ذاكرة هومر وهو يتحدث عن عصر ذهبي كان الناس فيه أكثر حضارة وأرق حاشية منهم في أيامه المضطربة .

ولقد كان كشف هذه الحضارة المفقودة مرة ثانية عملا من أجل الأعمال في تاريخ علم الآثار الحديث . فها هي ذى جزيرة تبلغ مساحتها قدر مساحة أكبر جزائر السكلديز عشرين مرة ، جوها جميل ، تنتج حقولها غلات مختلفة ، وتلاها كانت في وقت من الأوقات كثيرة الأشجار ، وموقعها من أصلح المواقع للتجارة والحرب ، فهي في منتصف الطريق بين فينيقية وإيطاليا ، وبين مصر وبلاد اليونان . ولقد أشار أرسطاطاليس إلى هذا

(٤) كل تنواريخ الواردة في هذا المجلد قبل الميلاد إلا إذا نص على غير ذلك أو كانت واضحة الدلالة على أنها بعد الميلاد .

الموقع الحسن وذكر أنه « هو الذى مكن مينوس Minos من إقامة إمبراطورية لها فى بحر إيجه »^(٥) . ولكن قصة مينوس ، التى يسلم بصحتها كل الكتاب الأقدمين ، وقد رفضها الكتاب المحدثون وعدوها خرافة من الخرافات . وقد كان من عادة المؤرخين قبل أيامنا هذه يستنبط عاماً لا أكثر أن يقولوا كما قال جروت Grote إن تاريخ الحضارة فى بحر إيجه يبدأ بغزو الدورين أو بعصر الألعاب الأولمبية ، ثم حدث فى عام ١٨٧٨ م أن عثر تاجر كريتى يسمى مينوس كلكيرنوس Minos Kalikairinos - وهو اسم من أبقى الأسماء للكشف الذى وفق إليه - عثر هذا التاجر على آثار قديمة فى سفح أحد التلال القائمة فى جنوب قندية^(*) . وزار شليمان Schliemann العظيم هذا الموقع فى عام ١٨٨٦ ، بعد أن لم يمحض على كشفه عن ميسينى Mycenae وطروادة إلا زمن قليل ، وأعلن عن اعتقاده بأن تحت ثراه آثار مدينة كنوسس القديمة ، وأخذ يفاوض مالك الأرض فى أن يسمح له ببدء أعمال الحفر على الفور ، ولكن المالك أخذ يساوم ويماحك وحاول أن يمكر به ؛ وكان شليمان تاجراً قبل أن يكون عالم آثار ، فتركه مغضباً ، وأضاع بذلك فرصة ذهبية لو اغتنمها لأضاف هو حضارة جديدة إلى حضارات التاريخ ، ومات بعد عام واحد من ذلك الوقت .

وفى عام ١٨٩٣ ابتاع دكتور آرثر إيفنز Arthur Evans عالم الآثار البريطانى من امرأة فى أثينة عدداً من الحجارة البيضاء كانت تمام ، وقد أدهشه ما كان محضوراً عليها من كتابة أثرية لم يكن فى وسع عالم من العلماء أن يقرأها . وما زال يتقصى مصدر هذه الحجارة حتى عرف أنها من كريت ، فحصل على إذن بالسفر إليها ، وأخذ يطوف فى أنحاء الجزيرة ويجمع منها ما يعتقد أنه نماذج للكتابة الكريتية القديمة . وفى عام ١٨٩٥ ابتاع جزءاً من الموقع الذى كان شليمان والمدرسة الفرنسية يعتقدان أنه موقع كنوسس وبعد أن قضى

(٥) العاصمة الجديدة للجزيرة واسمها الرسمى الحديث هرقليوم Heracleum

تسعة أسابيع من ربيع ذلك العام يحفر فيه مستخدماً في ذلك خمسين رجلاً أمام
الثام عن أعظم ما أسفرت عنه البحوث التاريخية الحديثة من كنوز ، نقصد
بذلك قصر مينوس . وليس فيما كشف من الصروح القديمة صرح يعادل
هذا الصرح المعقد في اتساعه ، وأكبر الظن أنه هو قصر التيه الذى لا نهاية
له ، والذى اشتهر فيما يروى من القصص اليونانية القديمة عن مينوس ،
وديدلس Deadalus ، وثيسوس Theseus ، وأدريانى Adriane والمينوتور
Minotaur . وكأنما شاءت الأقدار أن تؤيد ما أوحى به قريحة إيفنز إليه ،
فعر في هذه الخرافات وفي غيرها على آلاف من الأختام والأواح
الصلصال ، عليها رموز تشبه الرموز التى جاء إلى كريت يتعقبها ، وكانت
النيران التى دمرت قصور كنوسس قد حفظت هذه الألواح ، ولا يزال
ما عليها من الكتابة التصويرية ومن الحروف الهجائية غامضاً يخفى فصة بحر
إيجة القديمة(*) .

ولما ذاع نبأ هذا الكشف هرع العلماء إلى كريت من كثير من الأقطار .
وبينا كان إيفنز يعمل فى كنوسس كشف جماعة من الإيطاليين ذوى الجلد
والعزيمة - هلبير Halbherr ، وبرنيير Pernier ، وسفنيونى Savignoni
وبرينى Paribeni - فى حاجيا تريادا Hagia Triada (الثالث المقدس)
- تابوتاً عليه صور من الحياة الكريئية واضحة الدلالة ، كما كشفوا فى
فستس Phaestus عن قصر لا يفوقه فى سعته إلا قصر ملوك كنوسس .
وفى هذه الأثناء كان اثنان من الأمريكين هما سيجر Seager ومستر هوس
Hawes يقومان بأعمال الكشف فى حفائر فاسلكى Vasiliki ، ومكلوس
Mochlos ، وجورنيا Gournia ، وكان البريطانيون - هوجارث
Hogarth ، وبوسنكوت Bosaquet ، ودوكنز Dawkins ، وميرز

(*) وظل إيفنز يعمل بمجد ومهارة فى كنوسس سنين طويلاً ، ومع لقب فارس
Knight مكاناً له على جهوده ، وأتم فى عام ١٩٣٦ تقريره الرابع المسمى « قصر مينوس »
فى أربعة مجلدات .

Myres يتقنون في بليكسترو Palaikastro وپسيكرو Psychro وذكرو Zakro . واهتم أهل كريت أنفسهم بأعمال الحفر والتنقيب في ديارهم ، فأخذ زنتوديديز Xanthoudidis وهزبيداسكس Hazidakis يحضران في مواقع المساكن والمغارات والمقابر القديمة في أركلوكوري Arkalochori وتيليسس Tylissus ، وكومازا Koumasa ، وشمزي Chamaizi ، وانضوت نصف الأمم الأوربية تحت لواء العلم في الوقت الذي كان فيه ساستها يستعدون للحرب

ترى كيف تصنف هذه المادة الكثيرة - هذه القصور ، والرسوم ، والتمائيل والأختام ، والمزهريات والمعادن ، والألواح ، والنقوش ؟ - وللى أى عصر من العصور الغابرة تضم ؟ وقد أرخ ليفنز ما كشف من الآثار حسب عمق الطبقات الأرضية التي وجدت فيها ، وما طرأ على أنماط الخزف من تطور تدريجي ، وما بين الآثار التي كشفت في كريت وما كشف في غيرها من البلاد من تشابه في الشكل أو في الغرض الذي صنعت من أجله ، والموازنة بين الطبقات التي كشفت فيها والطبقات التي يعرف تاريخها على وجه التقريب في غير كريت . وما من شك في أن هذه الطريقة لا تسلم من الخطأ ، ولكن البحوث التي أجريت فيما بعد ، وما حصل عليه العلماء من معلومات جديدة ، تؤيدها تأييداً يزايد على مر الأيام . وظل ليفنز يواصل أعمال الحفر تحت كنوسس حتى قابلته على بعد ثلاث وأربعين قدماً من سطح الأرض الصخور الصماء ، وكان النصف الأسفل من الأرض التي حفرها تشغله بقايا عليها طابع العصر الحجري الحديث - من أشكال بدائية لفخار مصنوع باليد ، على برسوم مكونة من خطوط بسيطة ، ومن لوالب مغازل تستخدم في الغزل والنسيج ، ومن إلهات ذوات أعجاز ضخمة من الحجر الصابوني أو الصلصال ، وأسلحة وحجارة مصقولة ؛ ولم يكن من تلك البقايا أدوات من النحاس أو البرنز . وصنف ليفنز الفخار ووازنه بما وجد منه في مصر القديمة وبلاد النهرين ، وعلى أساس هذا التصنيف

قسم ثقافة كريت فيما بعد العصر الحجري الحديث وفي عصر ما قبل التاريخ ثلاثة عصور : العصر المينوي المبكر . والمينوي الأوسط ، والمينوي المتأخر . ثم قسم كل عصر من هذه العصور إلى ثلاثة أطوار .

ويمثل أول ظهور النحاس - أي أبعد الطبقات التي ظهر فيها عن سطح الأرض - قيام حضارة جديدة قياماً بطيئاً من مرحلة العصر الحجري الحديث . وقبل أن يحل العصر المينوي المبكر كان الكريتيون قد عرفوا كيف يخلطون النحاس بالقصدير ، وبدأ بذلك عصر البرنز ، وفي الطور الأول من العصر المينوي الأوسط تظهر أقدم القصور : فيقيم أمراء كنوسس ، وفستوس ، وماليا Mallia لأنفسهم مساكن مترفة كثيرة الحجرات ، ومخازن واسعة ، وحوانيت متخصصة ، ومذابح وهياكل ، وبجاري تهر المتكبر الغربي المتعجرف ، وتجعله بغض الطرف منها استحياء . ونرى الفخار ذا ألوان كثيرة براقه ، والجدران تزيئها مقرنصات ساحرة جميلة ، ونرى نوعاً من الكتابة الحرفية قد تطور من الكتابة التصويرية التي كانت في العصر السابق .

وفي نهاية الطور الثاني من العصر المينوي الأوسط حلت بالبلاد كارثة عجيبة تركت ما يدل عليها في الطبقات الأرضية . فقد تهدم قصر كنوسس كأن الأرض قد انشقت فحطمته ، أو لعل ذلك كان على أثر غارة قامت

(*) لما كان من المستطاع تحديد تاريخ أقدم الطبقات المحتوية على أدوات نحاسية في كنوسس بعام ٣٤٠٠ ق. م. أي منذ ٥٣٠٠ سنة من وقتنا هذا ، وذلك بمقابلتها بأثار الحضارات المجاورة لها ؛ وإذ كانت الطبقات المحتوية على أدوات من العصر الحجري الحديث في كنوسس تشغل نحو خمسين في المائة من سمك مجموع عمق الأرض من سطحها إلى الطبقات الصخرية ، فقد قدر ويفتقر أن العصر الحجري الحديث في كريت بقى ٤٥٠٠ عام على الأقل قبل معرفة لمعادن ، أ من عام ٨٠٠٠ إلى ٣٤٠٠ ق. م. تقريباً . ولا حاجة إلى القول بأن تقدير الزمن بناء على عمق الطبقات الأرضية تقدير يختلف فيه العلماء كل لا اختلاف ، لأن معدل الرسوب قد يختلف في العصور المختلفة . وقد أدخل إيفنز في حسابه بطء هذا المعدل بمد أنه ترك موقع كنوسس ، ولم يعد موضعاً لمدينة عامرة في القرن الرابع قبل الميلاد . ولم توجد في كريت أدوات من العصر الحجري القديم .

بها فستوس التي ظل قصرها باقيا بعد ذلك فترة من الزمان . ثم أصاب فستوس ومكلوس ، وجورنيا وپليكسترو ، ومدناً أخرى كثيرة في الجزيرة ، ما أصاب كنوسس من تخريب ، فترى الفخار قد غطاه الرماد ، والجرار الكبيرة في المخازن ملاءى بالانقراض . أما الطور الثالث من العصر المينوى الأوسط فطور ركود نسبي ، وقد يكون هو الطور الذي اضطربت فيه أحوال البلاد الواقعة في جنوب البحر المتوسط على أثر فتح المكسوس مصر ، ودام اضطرابها زمناً طويلاً (*) .

وفي العصر المينوى المتأخر يبدأ كل شيء من جديد ، فتتجدد آمال الإنسانية التي تصبر على كل بلوى ، وتسرى فيها روح الشجاعة ، وتبدأ الحياة مرة أخرى ، فتقوم قصور جديدة أجمل من القصور السابقة في كنوسس ، وفستوس ، وتليسوس ، وحاجيا تريادا ، وجورنيا ، فتعمها الفخامة ، وتكثر المباني ذوات الأتباق الخمسة ، والنقوش البديعة ، وتوحى المباني الفخمة بأن أحوال البلاد قد بلغت من الثراء ما لم تعرفه بلاد اليونان حتى عصر پركليز .

هنالك ترى دور التمثيل قد شيدت في أفنية القصور ، وترى النساء والرجال يجاندون الوحوش لتسلية الرجال والسيدات ؛ وهؤلاء لا تزال وجوههم الأرستقراطية اليقظة الهادئة حية في المظلمات البراقة الباقية على الجدران الحديدية . وتتضاعف حاجات الأهلين ، وترق أذواقهم ، وتردهر الآداب ، وتنشأ مئات من الصناعات ، فيستطيع الفقراء أن يستمتعوا بالرخاء وهم يعملون ليمدوا الأغنياء بأسباب الراحة والنعم . وترى أبهاء الملوك تدرى فيها أصوات الكتبة وهم يحصون السلع التي يوزعونها أو يتسلمونها ، وأصوات الفنانين وهم ينحتون التماثيل ، أو يرسمون الصور ، أو يصنعون

(*) إذ أورد القارىء أن يعرف كم من سنين دام كل طور من هذه الأطوار فليرجع إلى ثبت الحوادث في أول هذا الباب .

الفخار ، أو ينقشون النقوش ؛ وأصوات كبار الموظفين يعقدون المؤتمرات ، ويستمعون إلى القضايا المستأنفة أحكامها إليهم ، أو يبعثون بالأوراق مبصومة بأختامهم العملية الدقيقة الصنع ؛ بينما ترى الأمراء ذوى الخصر النحيل والأميرات الحليات بالجوهر ، المغريات ، العاريات النحور ، يجتمعون فى وليمة ملكية يقدم لهم فيها الطعام على موائد تتلأأ عليها صحاف البرنز والذهب . لقد كان القرنان السادس عشر والخامس عشر قبل الميلاد هما العهد الذى بلغت فيه الحضارة الإيجية ذروة مجدها وهما عصر كريت الذهبى القديم .

الفصل الثالث

حضارة تستعاد من بقاياها

إذا شئنا أن نستعيد هذه الحضارة المدفونة مما بقي من آثارها - أى أن نعمل بآثار كريت المتفرقة ما فعله كوفيه Cuvier بالعظام البشرية المشتتة - وجب علينا أن نذكر أننا نقدم بهذا العمل على مغامرة تاريخية لا تؤمن مغبتها ، وللخيال فيها شأن كبير ، لأنه هو المصدر الذى نستمد منه الصلات الحية التى تسد الثغرات وتربط المادة العلمية الضئيلة المشتتة التى يحركها المؤرخون حركة اصطناعية ، بعد أن ماتت من زمن طويل . وسيظل ما تنطوى عليه جزيرة كريت من معلومات مجهولاً خافياً على العالم حتى يقيض للأسرار المحبوة فى ألواحها عالم مثل شمپليون .

١ - الرجال والنساء

بين الكريتيين ، كما تصورهم فنانونهم ، وبين البلطة المزدوجة التى تظهر كثيراً فى رموزهم الدينية شبه غريب . فالرجال منهم والنساء لهم أجسام تدق من أعلاها ومن أسفلها حتى تنتهى فى الوسط بدائرة شديدة الضيق كطراز هذه الأيام ، ولكنه مبالغ فيه . وكلهم تقريباً قصار القامة نحاف ، لدن ، رشيقو الحركة ، ذوو أناقة رياضية . وهم بيض البشرة وقت مولدهم ؛ فأما نساؤهم اللاتى يلازم الظل فلهن وجوه بيص ، جرى عرفهم بأن تمثل فى صورهن ضاربة إلى الصفرة ؛ وأما الرجال الذين يسعون فى مناكب الأرض طلباً للرزق ، فقد لوحث الشمس وجوههم فاحمرت ، ولذلك كان اليونان يسمونهم كما كانوا يسمون الفيثقيين الفويثقيين أى الأرجوانى اللون ، وروؤوسهم أقرب إلى الطول منها إلى العرض ، ومعارفهم حادة دقيقة ، وشعورهم وعيونهم سوداء

براقة كشعور الإيطاليين وعيونهم في وقتنا الحاضر . ولا جدال في أن هؤلاء الكريتيين فرع من جنس « البحر المتوسط(*) » ؛ والرجال منهم والنساء يرسلون شعرهم ، بعضه معقوص فوق رؤوسهم وأعناقهم ، وبعضه في حلقات فوق جباههم ، وبعضه الآخر في غداثر تنوس على أكتافهم أو صدورهم . ويضيف النساء إلى ذلك أشرطة في غداثرهن ، أما الرجال فكانوا يصطحبون معهم حتى في قبورهم طائفة من شفرات الحلاقة ليحتفظوا بوجوههم حليقة نظيفة حتى في القبور^(١٠) .

وليست ملابسهم بأقل غرابة من أجسامهم ، فقد كان الرجال يضعون على رؤوسهم - إذا وضعوا شيئاً عليها لأنهم كانوا في أغلب الأحيان يتركونها عارية - عمام أو قبعات عراضاً ، وكان النساء يلبسن قبعات فخمة من طراز القبعات التي كانت منتشرة في بداية القرن العشرين . وكانوا في العادة حفاة الأقدام ، عدا أفراد الطبقات العليا ، فقد كانوا أحياناً ينتعلون أحذية بيضاء من الجلد ، كانت عند النساء مزركشة جميلة في أطرافها ، مزينة سيورها بالخرز . ولم يكن الرجال في العادة يلبسون شيئاً على أجسامهم فوق وسطهم ، أما في أوساطهم فكانوا يلبسون تنورات قصيرة ، أو مناطق تكون أحياناً متفخخة من الأمام تأديباً واحتشاماً . وقد تكون « التنورة » مفتوحة من الجانبين عند العمال ، أما عند العطاء وفي الحفلات فكانت تطول حتى تصل إلى الأرض عند الرجال والنساء على السواء . وكان الرجال يلبسون السراويل أحياناً ، وكانوا في الشتاء يلبسون رداء خارجياً طويلاً يتخذ من الصوف أو الجلد . وكانت الملابس ترتبط ربطاً محكما في وسط

(*) يتسم علماء تاريخ الإنسان الطبيعي الأوربيين بمد العصر الحجري الحديث الأقسام الثلاثة الآتية التي كانت لها على الترتيب الكثرة الغالبة في شمال أوروبا ، وسطها وجنوبها ، وهي : (١) « الجنس النوردي » أي الشالك وأفراده طال الرووس ، طوال لقامة ، بيض البشرة شقر الشعر ملح الميوز . (٢) « الجنس الألبى » وأفراده عراض الرووس ، متوسطو القامة ، عيونهم عسليه وبشرتهم ضاربة إلى السمرة . (٣) « جنس البحر المتوسط » وأداده طوال الرووس قصار القامة سمر البشرة . وجددير بنسا أن فعرف أنه لا يوجد من هذه الأجناس جنس خالص نقى .

الجسم ، لأن الرجال والنساء جميعاً كانوا يحرصون على أن يكونوا - أو أن يبدوا - رفيعي الوسط كأن أجسامهم تتركب من مثلثين^(١١). وأرادت النساء في العصور المتأخرة أن يتافسن الرجال في ضيق أو ساطهن فعمدن إلى المشدات القوية تجمع تنوراتهن حول أعجازهن ، وترفع أثناءهن العارية إلى ضوء الشمس . وكان من عادات الكريتيات الظريفة أن تبقى صدورهن عارية ، أو تكشفها قمصان شفافة^(١٢) ، ولم يكن أحد يتحرج من هذا أو يرى فيه غضاضة . وكان الجول يربط تحت الصدر ، ثم يفتح فتحة دائرية غير دقيقة ، ثم يعود فينطبق انطباقاً جميلاً حول العنق أشبه بالطوق الميديشي لطراز . وكانت الأكام قصيرة منتفخة في بعض الأحيان ؛ وكانت التنورات تزدان بالثنايا والألوان الزاهية ، وتتسع كثيراً عند العجز ، وتقوى في أغلب الظن بأعواد من المعدن أو بأطواق أفقية الوضع . ولنا لثرى في ترتيب ملابس الكريتيات وأشكالها تناسقا في الألوان ، وجمالا في الأشكال ، ورقة في الذوق ، تم عن حضارة غنية راقية ازدهرت فيها الفنون وارتقت أساليب الحياة . ولم يتأثر اليونان بالكريتيين في هذه المسائل ولم تغلب أزيائهم على غيرها من الأزياء إلا في العواصم الحديثة ؛ بل إن علماء الآثار أنفسهم يطلقون اسم « الباريسية » على صورة المرأة الكريتية ذات الصدر المرتفع البراق ، والعنق الجميل ، والقم المغرى ، والأنف البارز ، والجمال القوي المثير . إن هذه المرأة لتجلس أمامنا اليوم في غير حياء مصورة في طنف منقوش ، يطل فيه جماعة من العطاء على منظر لن يسمح لنا الزمان برويته ما حينئذ^(١٣) .

وواضح في هذه الرسوم أن رجال كريت كانوا يحمدون لنسائهم ما يلحهن على الحياة من لطف ومغامرات ، لأنهم لا يبخلون عليهن بما يحتجن من مال يزدن به جملهن وفتنتهن . فقد كشف في الآثار عن حلى كثيرة مختلفة الأنواع ، من دبائيس للشعر نحاسية وذهبية ، ودبائيس ومشابك منقوشة عليها بالذهب حيوانات أو أزهار ، أو رؤوس من البلور أو المرمر ، وأقراط

مزرکشة بخیوط من الذهب تختلط بالشعر ، وعصائب أو حلی من المعادن النفیسة تربطه ، وأقراط أو قلادات مدلاة من الآذان ، ومشابك وخرز وعقود على الصدر ، وأساور فی الأذرع ، وخواتم فی الأصابع من فضة ، وعقیق ، وجزع ، وجمشت ، وذهب . وكان الرجال يتحلون أيضاً ببعض هذه الحلی ، فإذا كانوا فقراء لبسوا عقوداً وأساور من حجارة عادية ، وإذا أمكنتهم مواردهم ازینوا بخواتم كبریة نقشت علیها صور الحرب أو الصيد . ونرى الساقی فی الصورة الذائعة الصیت یلبس فی عضده الأیسر لإسورة عریضة من معدن نفیس ، وفی معصمه إسورة مطعمة بالعقیق . ونرى الرجل فی الحیاة الكریتیة آیا كان موضعه یعرض أنبل عواطفه وأشد ما یفتخر به من هذه العواطف وهی حرصه على التجميل .

وتكاد النساء أن یكن صاحبات السلطان الأعلى فی الحیاة الكریتیة . ذلك أن المرأة المینیویة لم تكن ترضى بحیاة العزلة التي كانت تسود بلاد الشرق ، ولم تكن تطبق الحجاب أو البقاء فی الدور ، ولیس ثمة دلیل على أنه كان للنساء أجنحة خاصة فی المنازل . لقد كانت المرأة تشتغل فی البیت بلاریب كما تفعل بعض النساء حتی فی وقتنا هذا ، تنسج الأقمشة وتضفر السلال ، وتطحن الحب وتخبز العیش ؛ ولكنها كانت فوق ذلك تعمل مع الرجل فی الحقل وتصنع معه الفخار ، وتختلط بالرجال فی الأسواق ، وكان النساء یجلسن فی المقاعد الأمامیة فی دور التمثیل وفی حلبات الألعاب ، وینتقلن فی المجتمعات الكریتیة وعلین سیاء العظمة والملل من التعظیم والتمجید . ولما أن صاغت الأمة أربابها كان هؤلاء الأرباب فی أكثر الأحيان أشبه بالنساء منهم بالرجال . وإن العلماء المبیجلین المشغفین على غیر علم منهم - شغفاً لا غضاضة علیهم فیه - بصورة الأم المنقوشة على صفحات قلوبهم لبطاطون رؤوسهم لإجلالاً أمام آثار المرأة فی هذه الحضارة ، ویقفون مذهولین أمام سلطانها العظم (١٤) .

٢ - المجتمع

وسوف نفترض أن كريت في عهدها القديم كانت تقسمها جبالها أقساماً تسكنها عشائر قليلة العدد متحاسدة متباغضة ، تقيم في قرى منفصلة مستقلة ، يحكمها زعمائها ، وتتقاتل كما يتقاتل سائر الناس بفطرتهم . ثم يظهر من بين هؤلاء الزعماء زعيم قدير يضم عدداً من هذه العشائر تحت سلطانه ، ويؤلف منها مملكة ، ويشيد قصره الحصين في كنوس أو فستوس أو تليسيوس أو غيرها من المدن ، ثم تصبح الحروب أقل عدداً وأكثر اتساعاً وأشد تفتيلاً . ثم تنضم المدن كلها وتحارب دفاعاً عن الجزيرة بأجمعها وتنتصر كنوس ، وتنشئ المدينة المنتصرة أسطولاً بحرياً تسيطر به على بحر إيجه ، وتقضى على القراصنة ، وتفرض الخراج على غيرها من الجزائر ، وتناصر الفنون كما فعل بركليز فيما بعد^(١٩) . وهكذا تقوم الحضارة في إثار القرصنة ، والحق أن من الصعب قيام حضارة من غير سرقة كما أن من الصعب أن تبقى بغير عبيد(*) .

ويستند سلطان الملك ، كما يستند من الآثار ، على القوة والبطش ، وعلى الدين والقانون . وهو يغوى الآلهة ويستخدمها لمعونه ليجعل طاعة الناس لياه أيسر عليهم وأقل كلفة ، ويلقن كهنته الناس أنه من نسل فلكانوس Volchanos ، وأنه تلقى من هذا الإله القوانين التي يصدرها ، وإذا ما كان الملك قديراً أو سخيماً فإن هؤلاء الكهنة يخلعون عليه من جديد السلطة الإلهية ، ويتخذ الملك البلطة المزوجة وزهرة الزئبق رمزاً لسلطانه كما فعلت رومة وفرنسا فيما بعد . وهو يستخدم في تصريح شتون الدولة (كما تشير بذلك أكداً الألواح) طائفة من الوزراء وموظفي الدواوين والكتبة .

(٥) يقول توكديد ، الحذر الدقيق ، إن أول شخص معروف تزعم الرواية التاريخية أنه بنى أسطولاً هـ مينس وسيطر به على البحر المعروف باسم البحر الهيليني وحكم جزائر سكليس ... وقد بذل غاية جهده ليقضى على القرصنة في ذلك البحر ، وكانت هذه خطوة لا بد منها لضمان الخراج الذي يستخدمه في مصالحه .

وهو يجبي الضرائب عيناً ، ويخترن في جرار ضخمة وارده من حب وزيت وخمر ، ومن هذه الموارد يوذى رواتب رجاله عيناً . وهو يقضى وهو جالس على عرشه في القصر من مجلسه في بيته الملكى الصغير فيما يرفع إليه من القضايا التي مرت بمحاكمه . وقد بلغ من شهرته في أحكامه أنه يصبح في الدار الآخرة بعد موته قاضى الموتى الذين لا مفر من عرض قضاياهم عليه (٢١) ، كما يؤكد لنا هومر . ونحن نسميه في كتابنا مينوس ولكننا لا نعرف حقيقة اسمه . ولعل هذا لقب لا اسم شبيه بلفظ فرعون أو قيصر يطلق على عدد كبير من الملوك .

وتدل هذه الحضارة في ذروة مجدها على أنها حضارة مدن لا حضارة ريف . وتحدثنا الإلباذا عن « مدائن » كريت « التسعين » ، ويعجب اليونان الذين يفتحونها من كثرة سكانها . بل إن الدارس ليقف اليوم مرناً أمام شوارعها المخطمة المرصوفة ذات الحجاري ، وأمام أزقتها المتقاطعة ، وحوانيتها التي يخطها الحصر ، وميادينها المتجمعة حول مركز من مراكز التجارة أو الحكم ، حيث نرى الرجال محتشدين يتحدثون وهم ساكنون وادعون . وليست كنوسس وحدها هي المدينة العظيمة ذات القصور الواسعة التي تغرى الخيال على أن يبالغ في عظمة المدينة التي كانت بلا ريب أكبر مصدر لثروة هذه القصور ، وأول ما يستفيد من ثروتها . ويقابل كنوسس على شاطئ الجزيرة الجنوبي مدينة فستوس ، ومن مينائها « تحمل قوة الريح والأمواج إلى أرض مصر السفن ذات المقدمات القائمة ، كما يقول هومر » (٢٢) . وفي هذه المدينة تتجمع تجارة كريت المينوية الذاهبة إلى الجنوب ، مضافاً إليها السلع التي يأتي بها تجار الشمال الذين ينقلون بضائعهم إليها بطريق البر ليتجنبوا أخطار الطريق البحري الطويل . وتصبح فستوس بعدئذ لكريت كما كانت بيروسس ليونان ، تحب التجارة أكثر من حبها الفن ؛ ومع هذا فإن قصر أميرها صرح فخم ، يرق إليه بطائفة من الدرج يبلغ اتساعها

خمساً وأربعين قدماً ؛ ولا تقل أبهاؤه وأفنيته عن مثيلاتها في كنوسس ؛ ففناؤه الأوسط مربع مرصوف يبلغ اتساعه عشرة آلاف قدم مربعة ، وحجرة الاستقبال فيه تبلغ مساحتها ثلاثة آلاف ، أى أكبر من الردهة العظيمة ، ردهة البلطة المزدوجة ، في العاصمة الشمالية .

وعلى بعد ميلين من فستوس في اتجاه الشمال الغربي منها تقع حاجياتريادا ؛ وإلى بيتها الملكي الصغير (كما يسميه علماء الآثار) يلجأ أمير فستوس ليتقي حر الصيف . وكان طرف الجزيرة الشرقي في الأيام المينوية غنياً بالبلدان الصغيرة : سواء أكانت ثغوراً مثل زكرو ومكلوس ، أو قرى مثل بريسوس preasus وبسيرا pseira ، أو أحياء لسكنى العطاء مثل بليكسترو ، أو مراكز صناعية مثل جورنيا . والشارع الرئيسي في بليكسترو حسن الرصف كثير الحجارى ، تقوم على جانبيه بيوت رحبة ؛ منها بيت يحتوى على ثلاث وعشرين حجرة في الطابق الذى بقى منه حتى الآن . ولجورنيا أن تفخر بما كان فيها من شوارع واسعة مرصوفة بالحجر ، وبالبيوت مشيدة بالحجارة من غير ملاط ، وحانوت حداد لا يزال كبيره باقياً إلى الآن ، وحانوت نجار وجد فيه صندوق يحتوى على عدد ، ومصانع تعج بصناع المعادن ؛ وصناع الأحذية والمزهريات ، وتكرير الزيت ، والنسيج ، وإن العمال الذين يكشفون عن تلك الآثار في هذه الأيام ويجمعون ما فيها من مناضد ذات ثلاث قوائم ، وجرار ، وفخار ، وأفران ، ومصايح ، ومدى ، و « هاونات » ، وأدوات للصل . وخطاطيف ، ودبابيس ، وخناجر ، وسيوف ، نقول إن العمال الذين يكشفون الآن عن تلك الآثار ويجمعونها لتعريضهم الدهشة من كثرة ما كانت تخرجه مصانعها من أدوات مختلفة الأنواع . ويطلقون عليها اسم « مدينة الآلات »^(٢٣) . وإذا قيست شوارع المدينة إلى شوارعنا في هذه الأيام بدت لنا ضيقة ، فهى لا تزيد على أزقة من طراز أزقة المدن الشرقية الواقعة قرب المدارين ، والتي تحشى حر الشمس اللافتح ، أما بيوتها المستطيلة الشكل المشيدة من الخشب أو الآجر أو الحجر ، فلا ترتفع في الغالب

إلى أكثر من طابق واحد . غير أن ما وجد في كنوسس من النقوش الباقية من العصر المينوي الأوسط يصور بيوتاً من طابقين أو ثلاثة ، بل ومن خمسة أحياناً ، في أعلاها حجرة مفردة أو برج صغير في بعض المواضع ؛ وفي الأطباق العليا من هذه البيوت المصورة نوافذ ذات ألواح حمراء مصنوعة من مادة لم تعرف بعد . ولحجرات الطابق الأسفل أبواب ذات مصراعين يدوران على قوائم لعلها من خشب السرو توصل إلى فناء ظليل . ويصعد بدرج إلى الأطباق العليا وإلى سطح المنزل حيث ينام الكريتيون في الليالي الشديدة الحرارة . أما إذا قضوا الليل في داخل البيوت فإنهم يضيئون بيوتهم بمصابيح زيتية تصنع من الصلصال أو حجر الصابون ، أو الجبس أو الرخام ، أو البرنز حسب ثروة أصحابها^(٢٤) .

ولسنا نعلم عن ألعاب الكريتي إلا شيئاً واحداً أو شيئين لا أهمية لهما ؛ فإذا كان داخل الدار فإنه يحب لعبة شبيهة بلعبة الشطرنج ، فقد خلف لنا في خرائب قصر كنوسس لوحة لعب فخمة ذات إطار من العاج وعليها مربعات من الفضة والذهب ، واثنان وسبعين قطعة من المعادن النفيسة والأحجار الكريمة . فإذا كان الكريتي في الحقول فإنه يعمد إلى الصيد بجرأة وحماسة ومعه ققط نصف برية ، وكلاب صيد أصيلة ضامرة . وإذا كان من سكان الحواضر شجع الملاكين ، ونراه يصور على مزهرياته وفي نقوشه البارزة أنواعاً مختلفة من المباريات ، يتلاكم فيها ذوو الأوزان الخفيفة بأيديهم العارية وأقدمهم ، وذو الأوزان المتوسطة يتلاكمون بقوة ، وعلى رؤوسهم خوذ مزدانة بالريش ، وذو الأوزان الثقيلة يدلون بنحودهم وأقنعة خلودهم وقفازاتهم الطويلة المبطنة ، ويواصلون الملاكمة حتى يسقط أحدهم على الأرض من فرط الإعياء ، ويقف الثاني فوقه يتباهى بما أحرزه من نصر^(٢٥) .

ولكن أكثر ما يثير حماسة الكريتي أن يشق طريقه بين الجموع التي تملأ المدرج في يوم من أيام الأعياد ليرى الرجال والنساء يواجهون الموت أمام

هجمات الثيران الهائجة . وكثيراً ما يصور مراحل هذا الصراع الوحشي الشديد ، يصور الصائد الجريء يقنص الثور بأن يقفز فوق عنقه وينزل ساقيه على جانبيه وهو يشرب الماء من إحدى البرك ؛ ويصور المروض المحترف وهو يلوى رأس الثور حتى يتعلم شيئاً من الخضوع لحيل المدرب البغيضة ؛ ثم المجتهد الماهر النحيل الجسم الخفيف الحركة وهو يلتقي بالثور في الحلبة ، ويمسك بقرنيه ، ويقفز في الهواء ، وينقلب فوق ظهر الحيوان ، ثم ينزل برجليه على الأرض بين ذراعي فتاة تضفي على المنظر من جمالها وزشافتها^(٢٦) . ولقد أصبح هذا الصراع حتى في كريت المينوية من الألعاب القديمة التي طال بها العهد ؛ فقد عثر في كيدوشيا على أسطوانة من الصلصال يعزى تاريخها إلى عام ٢٤٠٠ ق . م ، وتمثل صراع ثور لا يقل في شدته أو خطورته عما هو مصور في المظلمات السالفة الذكر^(٢٧) . وإذا ما قلبنا الفكر في هذه اللعبة الدالة على شجاعة الإنسان وتعطشه لسفك الدماء ، والتي لا تزال منتشرة في هذه الأيام ، وعرفنا أنها قديمة قدم الحضارة نفسها ، إذا ما فعلنا ذلك أدركت عقولنا المولعة بتبسيط الأمور والاستهانة بها - وإن كان هذا الإدراك لا يدوم إلا لحظات - ما في الطبيعة البشرية من تناقض وتعقيد .

٣ - الدين

ربما كان الكرتي وحشياً قاسياً ، ولكنه كان بلا شك متديناً يركب من مزيج بشري كامل من الفيتشية والخرافة من جهة والمثالية وتعظيم الأرباب من جهة أخرى ؛ فهو يعبد الجبال والمغارات ، والعدد ٣ ، والأشجار ، والأعمدة ، والشمس والقمر ، والمعز والأفاعي ، واليمام والثيران ، وقلم يسلم شيء من عبادته . والهواء في اعتقاده مملوء بالأرواح الطيب منها والخبيث ، وتنتقل منه إلى بلاد اليونان طائفة شفاقة من جن الحراج منها الذكور ومنها الإناث .

وهو لا يعبد عضو التذكير عبادة ؛ ولكنه يعظم في رهبة وخشوع ما في الثور والأفعى من قوة حيوية منتجة (٢٨) . وإذا كان معدل الوفيات بين الكريبتين كبيراً فإنه يعظم الإخصاب ، وحين يسمو به تفكيره إلى إيجاد إله بشرى يصور لنفسه إلهته أمماً ذات تدين وجسم فارغ الطول ، وأفاع تلنف حول ذراعها وتديها ، وتتلوى في شعرها أو تتدلى في أنفة وكبرياء من رأسها . وهو يرى في هذه الإلهة الأم الحقيقة الأساسية من حقائق الطبيعة ، وهي أن الموت عدو الإنسان الألد تغلبه قدرة الأم الحفية العجيبة على التناسل والتكاثر ، وهو لذلك يؤله هذه القدرة . فالإلهة الأم تمثل له مصدر الحياة بأجمعها في النبات والحيوان والإنسان . وإذا ما أحاط صورتها بالحيوان والنبات فما ذلك إلا أن الحيوان والنبات يوجدان من خصوبتها الخلاقة ، وهما لذلك يرمزان لها ولما ينبعث منها . وهي تظهر في بعض الأحيان تضم بين ذراعها طفلاً قدسياً هو فلكانوس ولدته في مغارة جبلية (٢٩) ، وإذا ما تأملنا هذه الصورة القديمة رأينا من خلالها ليزيس وحورس ، وإشتار وتموز ، وسيدبل وأئيس ، وأفرديتي وأدنيس ، وأحسنا بوحدة ثقافات ما قبل التاريخ ؛ واتصال الآراء والرموز الدينية في عالم البحر المتوسط بعضها ببعض .

وزيوس الكريبتين ، وهو الاسم الذي يطلقه اليونان على فلكانوس ، أقل منزلة من أمه في حب الكريبتين ، ولكنه يزداد أهمية على مر الأيام . ففيه يتمثل المطر المخصب ، والرطوبة التي يرى هذا الدين كما يرى طاليس أنها أساس كل شيء . وهو يموت ثم يشاهد الناس ضريحه جيلاً بعد جيل على جبل يوكتاس Jouktas ، ولا تزال صفحة وجهه الفخمة الجلية تظهر للسائح القوى الخيال ؛ ثم يقوم من قبره ليكون رمزاً للنبات المجدد للحياة ، ويحتفل القيسيون ببعثه المجد بالرقص والضرب بالدروع (٣٠) ، وهو بوصفه إلهاً للخصب يتصور أحياناً كأنه حل في جسم الثور المقدس ؛ وهو بهذه الصفة

يضاجع باسفياء زوجة مينوس في الخرافات الكريكية فتلد له ثور مينوس المهول أو المينوتور .

ويعمد الكريتي لاسترضاء هذه الآلهة إلى طقوس لاحصر لها من الصلوات والتضحيات ، والرموز ، والاحتفالات ، وقيمها في العادة كاهنات من النساء ، وقيمها في بعض الأحيان موظفون من رجال الدولة . وهو يطرد الشياطين ويتقأ إذاها بحرق البخور ، ويستثير الإله الغافل بالنفخ في صدفة بحر زوجة ؛ وبالقيثارة أو الناي ، وينشد الأناشيد الجماعية تعبداً وخشوعاً . ويعمل على إنماء البساتين والحقول بإرواء أشجارها ونباتها بمراسم دينية ، وترى كاهنات البلاد وهن عاريات هاآتجيات يهززن الأشجار التي نضجت ثمارها لتسقط حملها ، أو نساءها يسرن في مواكب يحملن الفاكهة والأزهار يقدمنها للآلهة التي يحملنها في هودج ويومثن بها إليها . والظاهر أن الكريتي لم ين له معبداً ولكنه كان يقيم مذبح القربان في بهو القصر أو في الأيك أو المغارات المقدسة أو على قلل الجبال . وهو يزين هذه الأماكن المقدسة بأن يضع فيها مناخد يصب عليها السوائل قرباناً للأرباب ، وأصناماً مختلفة الأشكال و«قروناً قدسية» لعلها ترمز إلى الثور المقدس . والرموز المقدسة عند الكريتي لا حصر لها ، ويلوح أنه يعبد هذه الرموز كما يعبد الآلهة التي تدل عليها . ومن هذه الرموز الدرع ولعله كان يراه رمزاً للآلهة في صورتها الحربية ، ثم الصايب - في صورته اليونانية والرومانية - يحفره على جبهة ثور أو على فخذ إلهة أو ينقشه على خواتم ، أو يقيمه من الرخام في قصر الملك . وأهم هذه الرموز كلها البلطة المزدوجة بوصفها آلة التضحية ، وقد أضحت لها قوة سحرية عظيمة اكتسبتها من فضيلة الدم الذي تسفكه ، أو سلاحاً مقدساً يهديه الإله فلا يخطئ قط ، أو رمزاً لزيوس الذي يرسل الرعد ويشق السماء بصواعقه (٣١) .

وهو إلى هذا كله يعنى بعض العناية بموتاه ، ويعبدهم عبادة لا تسمى إلى عبادة الآلهة السالفة الذكر . فهو يدفنهم فى توابيت من الصلصال أو فى جرار ضخمة ، لأنهم إذا لم يدفنوا على هذا النحو قد يعودون إلى الحياة الدنيا . وهو يعمل على أن يظلوا راضين قانعين تحت الأرض بأن يضع معهم قدراً غير كثير من الطعام ، وأدوات الزينة ، ودمى صغيرة من الصلصال فى صورة نساء يقمن على خدمتهم أو يواسينهم إلى أبد الدهر . وهو يعمد أحياناً إلى الخداع مدفوعاً برغبته فى الاقتصاد الذى يطبقه تشككه البدائى ، فيستبدل بالطعام الحقيقى حيوانات من الصلصال يضعها فى القبر إلى جانب موتاه . وإذا دفن ملكاً أو نبيلاً أو تاجراً ثرياً وضع مع جثته بعض الصحاف الثمينة أو الحلى التى كانت ملكاً لصاحب هذه الجثة ، ويضع أدوات الشطرنج مع اللاعب الماهر ، ومجموعة من الآلات الموسيقية مع الموسيقى ، وقارباً مع من كان مولعاً بركوب البحار . ألا ما أكثر ما يدل عليه هذا العمل من عطف على الأموات ! وهو يأتى إلى القبر فى مواسم معينة ليقدم للموتى قرباناً من الطعام يحفظ عليهم حياتهم ، وهو يرجو أن يستقبل ردمتس Rhademanthus الإله العادل ابن زيوس فلكانوس الروح الذى تطهر لهبه السعادة والسلام اللذين لا بقاء لهما على ظهر هذه الأرض .

٤ - الثقافة

أصعب ما يواجهنا فى حضارة الكريتيين هو لغتهم . فالكريتى حين يستخدم الحروف الهجائية اليونانية بعد غزو الدورين بلاده ، إنما يستخدمها ليدون بها كلاماً يختلف كل الاختلاف عن الكلام اليونانى المعروف وأقرب منه شهاً بلغات الشرق الأدنى المصرية والقبرصية والحبشية والأناضولية . وقد اقتصر فى أقدم العصور على الرموز التصويرية ، ثم بدأ حوالى ١٨٠٠ ق . م

يختصر هذه الرموز إلى نحو تسعين علامة مقطعية ، وبعد مائتي عام من ذلك الوقت استنبط نوعاً آخر من الكتابة تشبه علاماته الحروف الهجائية الفينيقية ؛ ولعل الفينيقيين قد جمعوا منه ومن المصريين والساميين تلك الحروف التي نشروها فيما بعد في جميع البلاد المطلة على البحر المتوسط ، والتي أصبحت الأداة الفعالة في الحضارة الغربية . والكريتى العامى نفسه ينطق بما توحى به إليه شاعريته ، وينقش أشعاره على جدران حاجيا تريادا ، مثله في ذلك مثل الأخصاء من ساسة تلك الأيام . ولنا لنجد في فستوس نوعاً من الكتابة باقياً من أزمئة ما قبل التاريخ . فقد كشف في تلك المدينة قرص كبير من الطور الثالث من أطوار الحضارة المينوية الوسطى ، طبعت على صلصاله وهو لين رموز تصويرية لأصنام لكل رمز منها خاتم ؛ ولكن الذى يزيد من حيرتنا في أمر هذه الرموز أنها ليست كريتية بل أجنبية ، وربما كان هذا القرص قد نقل إلى كريت من أحد البلاد الشرقية (٣٢) .

وربما كشفت الألواح الطينية ، التي كان الكريتى يكتب عليها ، في يوم من الأيام ما كان عنده من العلوم . أما الآن فكل ما نستطيع أن نقوله إنه كان على علم بشيء من الفلك لأنه اشتهر بأنه ملاح ماهر ؛ وتقول الرواية إن الدوريين الذين استوطنوا كريت فيما بعد قد أخذوا التقويم عن المينويين . ويعترف المصريون بأنهم مدينون للكريتيين ببعض الوصفات الطبية ، وقد أخذ عنهم اليونان بعض الأعشاب العطرية والطبية كالنعناع (mintha) ، والشيخ الرومى (aspithon) ، وعقاراً آخر مفيداً كل الفائدة يقال إنه يشفى البدانة من غير حاجة إلى الاقتصاد في الطعام (٣٣) كما تدل على ذلك أسماء هذه الأعشاب وهذا العقار . ولكن من واجبنا ألا نضع الحدس والتخمين في مكان التاريخ الصحيح .

وفي وسعنا أن نتأمل خرائب دور التمثيل الكريتية وإن كانت آدابهم



(شكل ٢ السابق)
من قصر مينون
(متحف هرقليوم)

(شكل ٣)
الإلهة الأنسي
(متحف بوسطن)

لا تزال كتاباً مغلقاً محتفظاً بجميع أسرارهِ . فقد بنى الكريتيون في فستوس حوالى عام ٢٠٠٠ ق . م عشرة صفوف من المقاعد الحجرية تمتد نحو ثمانين قدماً بجوار جدار يطل على فناء ترفرف عليه أعلام ، كما أقاموا فى كنوسس ثمانية عشر صففاً من المقاعد الحجرية أيضاً طولها ثلاث وثلاثون قدماً . وهذه الدور التى تتسع لعدد من النظارة يتراوح بين أربعمائة وخمسمائة من أقدم ما تعرفه دور التمثيل - فهى أقدم من ملهى ديونيسيوس بألف وخمسمائة عام . ولسنا نعرف ماذا كان يحدث على مسارح هذه الدور ، فالملاحظات تصور النظارة يشاهدون منظرأ ما ، ولكننا لا نعرف ماهية هذا المظر الذى يشاهدونه ، وأكبر الظن أنه خليط من الموسيقى والرقص . وقد احتفظت لنا صورة وجدت فى كنوسس بطائفة من سيدات الطبقة الراقية ، ومن حولهن جماعة من الرجال المعجبين بهن يشاهدون رقصاً تقوم به بعض الفتيات المرحات ، ذوات « النُقَب » فى أكمة من شجر الزيتون ، وتمثل صورة أخرى راقصة تنوس غداثرها وتمد ذراعها ؛ وهناك صور تمثل رقصات ريفية شعبية ؛ أو رقصات الكهنة والكاهنات والمتعبدين الفوية أمام صنم أو شجرة مقدسة

ويصف هومر المرقص الذى أنشأه ديداوس يوماً من الأيام فى كنوسس العريضة لأدريادنى ذات الشعر الجميل ، وفيه يرقص ثلاثة شبان وثلاث عذارى فائنات مغربيات يتهاسكون بالأيدى . . . على صوت القيثارة وتقاسيم شاعر من رجال الدين «^(١٢٤) . وترى القيثارة ذات السبعة الأوتار : التى يعزوا اليونان اختراعها إلى عبقرية ترپندر Terpander ، مصورة على تابوت فى حاجيا تريرادا قبل أن يولد ترپندر بألف عام . وهناك أيضاً الناي والمزمار ذو الأنبوتين والثمانية الحروق والأربع عشرة نغمة بالصورة التى نجدها عند اليونان الأقدمين . ونرى على إحدى الحلى نقشاً يمثل امرأة تنفخ فى بوق مصنوع من صدفة ضخمة كما نرى على زهرية جلاجل تضبط الوقت لأقدام أم الراقصات .

وروح النضارة والمرح والخفة التي تبعث البهجة في رقص الكريتي ولعبه هي نفسها التي تبعث الحياة في أعماله الفنية . ولم يخلف لنا الكريتي من مبانيه شيئاً من الأعمال ذات الأبهة والفخامة ، أو ذات الطراز الراقى العظيم ؛ بل نراه يفعل ما يفعله الياباني في عصر السوراي ؛ فيجد اللذة والبهجة فيما تمتاز به الفنون الصغيرة من دقة ، وفي تزيين الأدوات التي يستخدمها في حياته اليومية ، وفي إحكام صنع الأشياء الصغيرة والوصول بها إلى درجة الكمال . وهو يقبل ما يمليه عليه العرف في الشكل وفي الموضوع شأن كل الحضارات الأرستقراطية ، ويتحاشى البدع المفرطة في الجدة ، ويتعلم الحرية داخل قيود الذوق والحفاظ على القديم . وقد برع الكريتي في صناعة الفخار ، وفي قطع الجواهر ، وفي حفر مواضع الفصوص في الخواتم ، وفي النقوش البارزة حيث تتاح له الفرصة لإظهار ما طبع عليه من مهارة ودقة . وهو لا يجد صعوبة في صياغة الذهب والفضة ، وتركيب الأحجار الكريمة ، وصنع أنواع كثيرة من المجوهرات . وهو يخفر على الأختام التي يصنعها ليوقع بها الوثائق الرسمية والبطاقات التجارية والصكوك المالية ، يخفر على هذه الأختام كثيراً من مظاهر الحياة العادية مفصلة دقيقة ، وكثيراً من مناظر كريت الطبيعية ، تكفي وحدها لأن تصور منها ما كانت عليه الحضارة الكريتيّة . وهو يصنع من البرنز طاسات ، وأباريق ، وخناجر وسيوفاً مزدانة بصور النبات والحيوان ومرصعة بالذهب والفضة والعاج والحجارة النادرة . وقد خلف لنا في جورنيا Gournia ، رغم عبث اللصوص مدى ثلاثة آلاف عام ؛ كأساً من الفضة مصقولة صقلاً فنياً جميلاً ، كما خلف في أماكن متفرقة من الجزيرة ، قروناً للشراب تبرز من رؤوس الآدميين أو الحيوان يكاد الإنسان حتى في هذه الأيام يحس فيها أنفاس الحياة .

ولم يترك شكلاً من أشكال الفخار إلا صنعه وبرز في هذه الأشكال كلها تقريباً ، فقد صنع المزهريات ، والصحاف ، والفناجين ، وأقداح الشراب ،

والمصاييح والحرار والحيوانات والآلهة . وقد كان في بادئ الأمر ، في العهد المينوي الأول ، يقنع بتشكيل هذه الآنية بيده ، حسب الأنماط التي ورثها عن العصر الحجري الحديث . وكان يطلبها بطبقة زجاجية سمراء أو سوداء ويترك النار تلونها بما تشاء من الظلال . ثم عرف في العهد المينوي الأوسط استخدام عملة الفخرائي ليبلغ بها الذروة في المهارة ، وهو يتطلبها في العهد بطبقة زجاجية تماثل في تناسقها ورقتها طلاء الخزف ، وينشر عليها في غير نظام الألوان السوداء والسمراء ، والبيضاء ، والحمراء ، والبرتقالية ، والصفراء ، والقرمزية ، والحمراء القانية ، ويمزجها فيخرج منها ظلالاً جديدة ؛ وهو يرقق الصلصال ترقيقاً وصل إلى حد الكمال في الآنية الجميلة الزاهية الألوان الرقيقة الجدران التي وجدت في كهف كمارس Kamares على جبل أيدا Ida ، والتي لا يزيد سمك جدرانها على مليمتر واحد ، وقد أفرغ على هذه الآنية كل ما وهب من خصب الخيال : وبلغت صناعة الفخار في كريت ذروة مجدها بين عامي ٢١٠٠ ، ١٩٥٠ ق . م وترى الصانع يوقع باسمه على ما يصنع ، ويحرص أهل بلاد البحر المتوسط على اقتناء مصنوعاته ، وفي العهد المينوي المتأخر يطبق أصول الفن إلى أقصى حد على صناعة الفخار الرقيق ، فيصنع من عجينة الفخار ألواحاً ومزهريات زرقاء فيروزجية وآلهات متعددة الألوان ، ونقوشاً لحيوانات بحرية تكاد أن تكون هي والحيوانات الحقيقية سواء . وهل هناك أدل على هذا من أن إيفنز رأى سرطاناً بحرياً من الميناء فظنه سرطاناً متحجراً^(٣٥) . وفي ذلك العهد ترى الفنان يشق الطبيعة ويسره أن يمثل على آنيته أنشط الحيوانات حركة ، وأزهي الأسماك لوناً ، وأرق الأزهار أوراقاً ، وأجمل النباتات شكلاً . وهو يخرج روائع الفن الخالدة في الطور الأول من أطوار العصر المينوي المتأخر أمثال مزهريه الملاكين ومزهريه الحصادين ؛ ففي الأولى يصور القسوة بجميع أشكالها ومواقفها في ألعاب الملاكمة ، ويضيف إليها صوراً من حياة مصارعى الثيران ، وفي

الثانية يتبع بمنتهى الدقة والإخلاص موكباً لعله موكب الفلاحين يمشون يغنون في عيد ، ثم تضعف تقاليد الفخار الكريتي ويضمحل فنه ، وينسى الصناعات تمنظهم وذوقهم ، فتغشى الزخارف المزهريات من أولها إلى آخرها في غير نظام ، ويعجز الصناعات عن التفكير البطيء والتنفيذ في صبر وأناة ، ويحل الإهمال والتراخي اللذان ينتحلان اسم الحرية محل الدقة والصقل اللذين عهدناهما في عصر كمارس . وليس من حقنا أن نلوم الكريتيين على هذا الاضمحلال فهو الموت الذى لا مفر منه والذى لا بد أن يلاقه الفن إذا بلغ سن الشيخوخة وخارت قواه ، فيستغرق في سبات مدى ألف عام ، ثم يولد من جديد ، ويبلغ منتهى الكمال في المزهريات الأنيكية .

وفن النحت من الفنون الصغرى في كريت ، وقلما يرقى إلى أكثر من صنع التماثيل الصغيرة إلا فى النقوش المنخفضة وفى قصة ديدلوس . وكثير من هذه التماثيل الصغرى فجأة لا تخرج عن نمط واحد جرى به العرف وثبت عليه ؛ ويبدو أنها كانت تصنع من غير مثال تحتذيه . ومن هذه تماثيل من العاج يمثل لاعباً رياضياً ساعة أن يقفز فى الهواء ؛ ومنها رأس جميل ضاع جسمه فى أثناء انتقاله إلينا خلال القرون الطوال . وخير هذه التماثيل يفوق فى دقة التشريح وفى وضوح الحركات كل ما عرفناه من تماثيل اليونان قبل أيام ميرون Myron . وأغربها كلها إلهة الأفاعى المحفوظة فى متحف بَسْطَن - وهى تماثيل قوى من العاج والذهب نصمها أنثى ونصمها أفعى ؛ وفى هذا يعالج المثال آخر الأمر الجسم الآدمى بشيء من سعة الإدراك والنجاح . ولكنه حين يريد أن يمثل الضخامة يعتمد فى الغالب على تمثيل الحيوانات ويقتصر على النقوش البارزة الملونة ، كما نرى ذلك فى رأس الثور المحفوظ فى متحف هركيولانيوم ؛ وفى هذا الأثر المدهش نرى العينين الوحشيتين ، والمنخارين الناخرين ، والفم اللاهت ، واللسان

المرنحف ، وكل هذه قد بلغت من القوة درجة لن تفوقها بلاد اليونان نفسها في أى عهد من عهودها .

وأكثر ما يستلفت النظر في كريت القديمة هو تصويرها . ذلك أن النحت معتل لا يؤبه له ، وما عثر عليه من الفخار قليل معظمه قطع متفرقة ، وعمارتها كلها أطلال دارسة ؛ ولكن أجمل الفنون كلها ، وهو الذى يقع فريسة سهلة لعوادى الزمان الذى لا يرحم ، قد أبقي لنا روائع نستطيع أن ندرسها وتستثير إعجابنا من عصر بلغ من القدم حداً سقط من ذاكرة اليونان الأقدمين ، وهم الذين لم يبق من تصويرهم على حدائث عهده بالقياس إلى تصوير الكريتيين صورة واحدة أصيلة . وقد أبقى الزلازل والحروب التى دكت القصور فى كريت على مظلم فى جدار هنا وآخر فى جدار هناك . وإذا ما جلنا فى هذه القصور الخربة ، ونخطينا أربعين قرناً من الزمان ، والتقىنا بالرجال الذين زينوا حجرات الملوك المينويين رأيناهم فى عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد يضعون على الجدران طبقة من الجير النقى ، ويهدبهم تفكيرهم إلى التصوير على السطح المبلل ، فيحركون الفرشاة حركات سريعة ينفذ بها اللون إلى الطلاء قبل أن يجف سطحه . وقد استطاعوا بحذقهم أن يتفلقوا إلى أبهاء القصور المظلمة جمال الحقول المكشوفة الوضاء ، فيستنبتون الجص زنبقاً ، وسوسنا ، ونرجسا ، وبردقوشا . وما من أحد شاهد هذه المناظر ثم قال مع القائلين إن روسو قد أزاح الستار عن الطبيعة . ونرى فى متحف هركيولانيوم جامع الزعفران حريصاً على كطف زهره كما صوره مصوره فى العصر المينوى الأوسط ؛ ونرى وسطه رفيعاً إلى حد ينفر منه الذوق ، كما يبدو جسمه طويلاً لا يتناسب مع ساقيه ، ولكننا نرى رأسه متقن التصوير خالياً من العيوب ، ونرى الألوان هادئة والأزهار نضرة كما كانت منذ أربعة آلاف عام . وفى حاجيا تريادا يزين الرسام تابوتاً برسوم لخلائق غريبة نكاد نقول إنها نوبية منهمة فى طقوس دينية ؛ وخير من هذا كله ما زين به أحد الجدران من أشجار متواجهة يدس بينها - وإن

لم يخفها عن العين بل يتركها واضحة جلية - قطة متحفزة ، تستعد للهجوم دون أن يراها أحد على طائر ملط بنفسه ينشئ ريشه في الشمس . ويصل الرسام الكريتي في العصر المينوي المتأخر إلى ذروة مجده ، فكل جدار يفريه وكل ثرى يستدعيه ، وهو لا ينقش مساكن الملوك وحدها ، بل ينقش بيوت النبلاء وأثرياء البلاد ، ويزينها بما لا يقل عن زينة بيوت ممجي . على أن نجاحه هذا وكثرة ما ينهال عليه من الطلبات لا يلبثان حتى يفسدا عليه أمره ، وسرعان ما يؤدي حرصه على أن ينتهي مما بين يديه إلى قصوره عن الارتقاء إلى ما يقرب من الكمال فيما يصنع ، فيفضل الكم على الكيف ، ويكرر رسوم الأزهار حتى يمل الناظر إليها من التكرار ، ويصور الرجال بصورا لا وجود لها في الحياة الواقعية ، ويقنع برسم الخطوط الخارجية ، وينحط بفنه إلى المستوى الذي يدرك فيه أن هذا الفن قد جاوز مجده الأعلى وأنه قد آن أوان موته . ولكن من حقه علينا أن نقول إن التصوير لم يمثل الطبيعة بمثل النضارة التي مثلها بها التصوير الكريتي ، مع جواز استثناء مصر القديمة وحدها من هذا التعميم .

وتتضافر الفنون كلها على بناء القصور الكريتيية ، فالقوة السياسية ، والسيادة التجارية ، والثراء ، والترف ، وما تجمع في البلاد من رقة وسمو في الذوق ، كل هذا يحتم على المهندس ، والبانى ، والصانع ، والمثال ، وصانع الفخار والمعادن ، والتجار ، والمصور ، يحتم على هؤلاء كلهم أن يجمعوا ما وهبهم الله من حذق ليثيدوا به طائفة من حجرات ملكية ، ومكاتب إدارية ، وملا ، وحلبات ألعاب لتكون محور الحياة الكريتيية ومشاهد رقيها وعظمتها . بينون في القرن الحادى والعشرين ثم يتهدم بنيانهم في القرن العشرين ، فإذا جاء في القرن السابع عشر لا يكتفون فيه ببناء قصر مينوس بل يشيدون كثيراً غيره من الصروح الفخمة في كنوسس وفي نحو خمسين مدينة أخرى في الجزيرة المثرية الرخية . ولقد كان عصر الحضارة الكريتيية من أزهى العصور في تاريخ العمارة .

وجدير بنا أن نذكر أن الذين شادوا قصر كنومس كانت تنقصهم وفرة مواد البناء والرجال ؛ فالمعادن قليلة في كريت والرخاء لا وجود له فيها هلى الإطلاق ، ومن أجل هذا تراهم يبنون بحجر الجير والجبس ، ويستخدمون الخشب فى إنشاء الأروقة المقامة على العمد والسقف وجميع الأعمدة التى فوق الطابق الأرضى . وهم يقطعون الكتل الحجرية قطعاً محدداً دقيقاً يستطيعون به أن يضموها فى أماكنها من غير ملاط . وهذه الأدوات شادوا حول فناء أوسط سعته عشرون ألف قدم مربعة ثلاثة أطباق من البناء أو أربعة يرق إليها بدرجات حجرية واسعة ، وتحتوى على ما لا حصر له من الحجرات مراكز للحراسة ، وحوانيت ، ومعاصر للخمر ، ومخازن ، ومكاتب لتصريف شئون الدولة ، ومساكن للخدم ، وحجرات للانتظار ، وأخرى للاستقبال ، ومخادع ، ومعبد ، وجب ، وحجرة عرش ، وهو للبلطة المزدوجة « ، وبالقرب من هذه كلها دار للتمثيل ، وقصر صغير ذو حديقة ، ومقبرة . وفى الطابق الأسفل من القصر أقاموا عمداً مربعة ضخمة من الحجارة ، وأما فى الأطباق العليا فقد أقاموها من خشب السرو . والغريب فى هذه العمد أنها رفيعة من أسافلها ثم تتدرج فى السمك إلى أعاليها ، لتحمل السقف على تيجان ملساء مستديرة أو لتلقى بظلالها على جانبها . وفى داخل هذا القصر وضع بناووه مقعداً حجرياً ، مستنداً فى مكان أمين إلى جدار جميل النقش ، وهذا المقعد الحجرى منحوت نحتاً بسيطاً ولكنه يشهد بمهارة من نحته وحذقه ؛ ويسمى الحمارون المستكشفون هذا المقعد الحجرى عرش مينوس ، وفى وسع كل سائح جوال أن يجلس عليه فى تواضع واحتشام ويتصور نفسه برهة من الزمان مسيطراً على هذا المقعد الذى يزيد على بضعة أشبار . وأكبر الظن أن هذا القصر الفسيح هو قصر التيه الشهير (لابرنث) أو هيكل البلطة المزدوجة (لبريس Labryth) الذى يعزوه الأقدمون إلى

ديدلوس والذي خلع اسمه فيما بعد على كل شيء أكثر التعاريف سواء كان (*) حجرات أو الفاظاً أو أذاناً (٣٧) .

وكان الذين شادوا مدينة كنوسس قد أرادوا أن يدخلوا السرور على النفعيين أهل هذه الأيام الذين يهتمون بأنايب المياه أكثر من اهتمامهم بالشعر ، فجهزوا القصر بنظام لصرف مائه وفضلاته أرقى من كل نظام مماثل له في التاريخ القديم . فقد كانوا يجمعون في قنوات حجرية الماء الذي سيل على سفوح التلال أو ينزل من السماء ويسرونه في أسطوانات مجوفة إلى حمامات (***) ومراحيض ، ثم يتقاون الفضلات في أنابيب من الصلصال المحروق مصنوعة على أحسن طراز - كل قسم منها طول قطره ست بوصات ، وطوله ثلاثون بوصة ، مزود بشرك لحجز الرواسب ، وممتا بطرف رفيع يدخل به في القسم الذي يليه ، ويرتبط به ربطاً محكماً يرباط من الأسمنت (٣٨) . وربما كان فيها جهاز يمد القصر الملكي بالماء الساخن (٣٩) (†)

وقد زين الفنانون في كنوسس داخل القصر على سعته بأرق وسائل الريين . فجملوا بعض الحجرات بالمزهريات والتماثيل الصغيرة ، وبعضها الآخر بالمصور الملونة أو النقوش البارزة ، وبعضها بالقوارير الحجرية أو الآنية

(*) ليس قه اننا حجرات إلا افتراضاً محضاً بطبيعة الحال . وجدي بنا أن نضيف إلى هذا أن ما استخرج من نقوش القصر قد نقل كله إلى متحف هركيه لانيوم أر غيره من المتاحف ، وأن كثيراً مما بقى منه في موضعه قد رمى ترميماً مجرداً من الذوق .

(**) لم يعد المؤرخون الآن متفقين على أن المنحوتات المربعة التي عثروا عليها في أرض بعض الحجرات كانت حمامات ، وحجبتهم في هذا أنها لا منفذ لها وأنها مصنوعة من الجبس وه ما يذيه الماء شيئاً فشيئاً (٣٧) .

(†) عثر مسو Mosso على أنابيب للصرف شبيهة بهنه في البيت الخلاء المقام في حاجياتريادا ، وقد وصفها بقوله : « لقد أدهشني أن أرى في يوم من الأيام سقط فيه المطر مد ارا أن كل وسائل صرف المياه تعمل عملها بمنتهى الدقة والإتقان ، ولقد رأيت المياه في البالعات التي يستطيع الرجل أن يسير فيها واقفاً على قدميه . وإني لأشك في أن نظاماً آخر للصرف غير هذا النظام قد يتى يؤدي عمله بعد أربعة آلاف عام من إنشائه (٤٠) .



(شکل ۴) مظالم علی چدار و «عرش میونس»
(متحف هرقلیوم)

الفضخمة ، وبعضها بتحف من العاج أو الخرف أو البرنز ، وأقاموا حول أحد الجدران طناً من حجر الجير عليه ألواح ذات ثلاثة حوز متساوية الأبعاد ، وأنصاف ورود ، ونقشوا حول جدار آخر عدداً من اللوالب على سطح طلي يمثل الرخام ؛ وحول جدار ثالث نقشوا صراعاً بين رجل وثور ، تجلت فيه جميع دقائق الصراع بغاية الوضوح ، ونشر المصور المينوي في جميع الأبهاء والحجرات كل ما احتواه فنه المبهج من أمجاد ، فصور لنا في إحدى حجرات الاستقبال سيدات في ثياب زرقاء فاجأهن وهن يثرثن ، وأبرز معارفهن ، وأذرعهن الجميلة ، وصدورهن ، وأندلهن الدفينة ؛ وصور على جدار غيره حقولا من الأزورد والنيلوفر وعضون الزيتون ، وعلى جدار آخر سيدات في دار التمثيل ، ودلايين تسبح من غير حركة في ما البحر . وخير من هذه الرسوم الصورة الرائعة الدائعة الصيت ، صورة الساقى المنتصب القامة ، والقوى البنية ، يحمل دهاناً ثميناً في وعاء أزرق رفيع ، وقد جمّلت وجهه تربيته ويد الفنان ، وتدل شعره في غديرة سمبكية على كفيه الأسمرين وتلاؤلات الحلى في أذنيه ، وحول عنقه وذراعيه ومنطقته ، وزين ثوبه الغالى بصور جميلة لبعض الأزهار . وما من شك في أن هذا الساقى ليس من الرقيق ، بل هو شاب من أبناء الأشراف يفخر بما نال من شرف خدمة الملك . وجملة القول أن ليس في مقدور حضارة ما أن تتطلب أو تخلق مثل هذا الترف وهذه الزينة إلا إذا كان قد طال عهدا بالنظام ، والثراء ، والفراغ ، وسلامة الذوق .

الفصل الرابع

سقوط كنوسس

إذا ما رجعنا إلى ما قبل هذه الحضارة الباهرة نبحت عن أصلها ، وجدنا أنفسنا نتقلب بين آسية ومصر . فالكريتيون يبدون من جهة شديدي الصلة بالشعوب الهنديرية التي تسكن آسية الصغرى ؛ ففي هذه البلاد كما في كريت تستخدم ألواح الصلصال للكتابة ، وكان فيها الشاقل وحدة الموازين . وفي كاريا من أعمالها كان يعبد زيوس لبرنديوس Zeus Labrandeus أى زيوس ذو البلطة المزدوجة Labrys ، وفيها كان الناس يعبدون الأعمدة والثور والإمامة ، وفي فريجيا كانت سييل العظيمة الشبيهة كل الشبه بالأم الإلهة في كريت حتى لقد أطلق اليونان على هذه الأم اسم ريا سييل Rhea Cybele وعدوا الاثنتين إلهة واحدة ! (٤٠) .

ومع هذا كله فإن الشواهد الدالة على أثر مصر في كريت كثيرة في كل عصر من عصور تاريخها . وقد بلغ تشابه الثقافتين في أول عهديهما حداً جعل بعض العلماء يظنون أن موجة من الهجرة قد حدثت من مصر إلى كريت أيام الاضطراب الذي وقع في عهد ميناء (٤١) . فالآنية الحجرية التي كشفت في مكلوس والأسلحة النحاسية الباقية من الطور الأول من العصر المينوي القديم ، تشبه ما وجد من نوعها في مقابر الأسر المصرية الأولى شهاً يثير العجب ، والبلطة المزدوجة تظهر على شكل تميمة في مصر بل يظهر فيها كذلك « كاهن البلطة المزدوجة » . والموازين والمكايل الكريتية مصرية في شكلها إن كانت آسيوية في قيمتها ؛ والأساليب المستخدمة في النقش على الحجارة

الكريمة ، وفي فن الخزف والتصوير تنشأه في البلدين تشابهاً جعل اسبنجلر يعتقد أن الحضارة الكريتية ليست إلا فرعاً من الحضارة المصرية^(٤٢) .

ولكننا لن نتهج نهج اسبنجلر لأننا لا يجوز لنا أن نتغاضى عن فردية الأجزاء في كلتا الحضارتين ، فالصفة الكريتية واضحة في حضارتها كل الوضوح مميزة أشد التمييز ، ولسنا نجد في العالم القديم شيئاً آخر امتاز بالرقعة في دقائق المن وبالرشاقة المركزة في الحياة والفن . ولنسلم جدلاً بأن الثقافة الكريتية آسيوية في نشأتها العنصرية ، مصرية في كثير من فنونها ، غير أنها في جوهرها وفي كليتها تبقى حضارة فذة ، وربما كانت تنتمي إلى خليط معقد من الحضارات شأن جميع البلاد الواقعة في شرق البحر المتوسط ، حيث ورثت كل أمة فنوناً وعقائد وأساليب متماثلة متقاربة نشأت من ثقافة تنتمي إلى العصر الحجري الحديث كانت واسعة الانتشار في تلك البلاد وقامت عليها حضارتها .

ومن هذه الحضارة المشتركة أخذت كريت في شبابها وأمدتها بقسط بعد نضجها . وبفضل حكمها ساد النظام في الجزائر المجاورة لها ودخل تجارها في كل ثغر من ثغورها ، ثم استقرت مصنوعات وفنونها في جزائر سكلديس وعمت قبرص ، ووصلت إلى كاريا وفلسطين^(٤٣) ، ثم سارت شمالاً إلى آسية الصغرى والجزائر المجاورة لها حتى بلغت طروادة ، واجتازت في ناحية الغرب لإيطاليا وصقلية إلى أسبانيا^(٤٤) ، وعمت بلاد اليونان حتى تساليا ، وبقيت في تراث اليونان عن طريق مسيسيني وتيرنز ، وبذلك كانت كريت في تاريخ الحضارة الحلقة الأولى من سلسلة الحضارة الأوربية .

ولسنا نعرف أى طرق الاضمحلال الكثيرة هي الطريق التي سلكتها كريت اضمحلالها ، أو لعلها سلكت هذه الطرق الكثيرة كلها ، فقد اختفى ما كانت تشتهر به من غابات السرو والأرز ، وأضحى ثلثا الجزيرة اليوم صحوراً

حجرية صماء لا تستطيع الاحتفاظ بمياه الأمطار الشتوية^(٤٥) . ولعل أهلها هي أيضاً قد أسرفوا في تحديد النسل كما تسرف سائر الحضارات في عصور اضمحلالها، وتركوا الإكثار للعجزة والضعفاء . ولعل ازدياد الثروة والترف وما أعقبه من انهماك في الملذات الجسمية قد أضعف ما في السكان من حيوية ، وأضعف إرادتهم في أن يعيشوا ويدافعوا عن أنفسهم ، ذلك أن الأمم تولد وراقية وتموت أبيقورية . ولعل انهيار مصر بعد موت إخناتون قد أحدث اضطراباً في التجارة التي كانت قائمة بين مصر وكريت ، وقلل من ثراء الملوك المينويين ؛ وغير خاف أن كريت ليس فيها موارد داخلية واسعة ، وأن رخاءها إنما يعتمد على التجارة وعلى الأسواق الخارجية لتصريف مصنوعاتها ، ولذلك أصبحت كإنجلترا في الوقت الحاضر تعتمد اعتماداً شديداً على الخطورة على سيطرتها البحرية . وربما كانت الحروب الخارجية قد قضت على الكثيرين من شبانها الأقياء ، وتركت الجزيرة منقسمة مفككة لا تستطيع صد الغزاة الأجانب . وربما كانت الزلازل قد دكت قصورها ، أو أن أهلها قد انتقموا لأنفسهم في ثورة عنيفة مما قاموه من ظلم واستبداد قروناً طوالاً .

ذلك ما لانعلمه علم اليقين ، وأما الذي لاشك فيه فهو أن قصر فستوس قد دمر مرة أخرى في عام ١٤٥٠ ، وأن قصر حاجيا تريادا قد التهمته النيران ، وأن بيوت الأثرياء في توليسوس قد اختفت من الوجود . ويلوح أن كنوسس كانت في الخمسين سنة التي تلت ذلك العهد تستمتع بأعظم ما وصلت إليه من ثراء ، ومن سلطان لا ينازعها فيه منازع في جميع أنحاء بحر إيجه . وفي عام ١٤٥٠ التهمت النيران قصر كنوسس نفسه ، فقد عثر إيفنز في كل مكان فيه على شواهد دالة على اندلاع اللهب الذي لم يقو الأهلون على حصره - من كتل خشبية وأعمدة محترقة ، وأسرار مسودة ، وألواح طينية قد جمدها حرارة النار حتى استعصت على أنياب الزمان ، ولقد كان الدمار شاملاً ، وكان اختفاء المعادن حتى من الحجرات التي غطتها الأنقاض وحمتها من النيران كاملاً ،

حما جعل كثيرين من العلماء يظنون أن هذا الدمار(*) من فعل الغزاة لا من فعل الزلازل(٤٦). ومهما يكن سبب هذه الكارثة فإن الجزيرة قد أخذت بها على غرة ، ذلك أن بأما كن الفنانين وحوانيت الصناعات شواهد كثيرة على أن أصحابها كانوا منهمكين في أعمالهم حين حل الموت بهم ؛ وفي هذا الوقت عينه دكت قواعد جورنيا ، وبسيرا ، وزكرو ، وبليكسترو .

وليس لنا أن نظن أن الحضارة الكريتية قد انمحت في يوم وليلة ، فقد أعيد بناء القصور ، ولكنها بنيت متواضعة ، وظلت لمنتجات كريت الفنية الغلبة على الفن الإيجي جيلاً أو جيلين من الزمان . وفي منتصف القرن الثالث عشر قبل الميلاد نجد آخر الأمر شخصية كريتية بارزة - هي شخصية الملك مينوس التي تقص الرواية اليونانية عنها كثيراً من القصص المرعبة . من ذلك قولها إن عرائس الملك قد ضابقتن كثرة الأفاعى والعقارب في نطفته ، ولكن زوجته بسفائيه Pasiphae تخلصت منها بطريقة خفية عجيبة(٤٧) ، وأفلحت في أن تلد له كثيراً من الأبناء ، منهم فيدرا Phaedra (زوجة تسيوس وحبيبه هبوليتوس) وأريدى Ariadne ذات الشعر الأشقر . ولما أغضب مينوس بوسيدن Poseidon سلط هذا الإله على بسفائية هياما جنونياً بثور مقدس ، وأشفق عليها ديدلوس ، وبفضل صلته حملت في ميناتور الرهيب ؛ وسجن مينوس ذلك الحيوان في التيه الذى شاده ديدلوس إطاعة لأمره ، ولكنه كان يسترضيه بالضحايا البشرية من حين إلى حين(٤٨) . ولعل أظرف من هذه القصة قصة ديدلوس الخرافية رغم خاتمها المخزية ، لأنها تفتح ملحة من أعظم الملاحم وأشدها افتخاراً في التاريخ . فقد مثلته

(*) إذا سمحت التاريخ التي يحددها رجال لآثار بتأخير هذا الحريق الكبير . ل ١٢٥٠ أو نحوها ، أصبح من السهل تفسير هذه الكارثة بأنها من حوادث فتح الآخمين لجزارت بحر إيجة ، ذلك الفتح الذى كان مقدمة لحصار طروادة .

الأفاصيص اليونانية في قصة أمير أثيني حسد ابن أخيه لمهارته ، فقتله في ساعة من ساعات غضبه ، ونفى القاتل نفياً أبدياً من بلاد اليونان عقاباً له على قتله . فلجأ ديدلوس الطريد إلى قصر مينوس ، وأدهش الملك بمهارته في اختراع الآلات وغيرها مما لا عهد له به فقربه وجعله كبير ننايه ومهندسيه . وكان ديدلوس مثالا حاذقاً ، وقد استخدمت الأفاصيص اسمه فجعلته رمزاً على انتقال فن النحت من الأشكال الحامدة الميتة ، إلى صور الأناس الأحياء . ويحدثنا القصاصون بأن التماثيل التي صنعها كانت شديدة اشبه بالأحياء ، حتى لقد كانت تقف على أقدامها وتمشي إذا لم تشد إلى قواعدها^(٤٩) . ولكن مينوس غضب على ديدلوس حين علم بما كان له من يد في عشق باسيفائية ، فحبسه هو وابنه إيكاروس Icarus في تبة اللابرنث ، فما كان من ديدلوس إلا أن صنع له ولابنه إيكاروس أجنحة استطاعا بها أن يقفزا من فوق الجدران ويطيرا فوق البحر المتوسط ، غير أن إيكاروس لم يأبه بنصيحة أبيه فاقرب من الشمس أكثر مما ينبغي ، وأذابت أشعتها الحارة ما على جناحيه من الشمع فغرق في البحر ، وتلك خاتمة تزدان بها القصة وتكسبها مغزى أخلاقياً . وأصبح فؤاد ديدلوس فارغاً بعد موت ولده ، فنزل في صقلية ، وبعث في هذه الجزيرة حضارة عظيمة بعد أن نقل إليها ثقافة كريت الصناعية(*) والفنية^(٥٠) .

وأشد من هذه القصة إثارة للشجن قصة ثسيوس وأدريدني . وخلصتها أن مينوس بعد أن انتصر في حرب على أثينة الناشئة الفتية ، فرض على هذه

(*) يعزو بوسنياس Pausanias أول من وضع أدلة السياح ، إلى ديدلوس كثيراً من التماثيل معظمها من الخشب ، كما يعزه إليه نقشاً على الرخام يمثل أدريدني وهي ترقص ، ويتول إنها كلها كانت موجودة في القرن الثاني بعد الميلاد^(٥١) ولم يشك اليونان يوماً من الأيام في أن ديدلوس شخص حقيق ؛ وإن تجارب شليمان لتجمعنا نتشكك حتى في تشككنا . وليس أسهل على العلماء في جيل من الأجيال من أن يرفضوا الروايات القديمة ، ثم يأتي من بعدهم جيل آخر فيؤيدها أقوى تأييد .

المدينة أن ترسل إليه كل تسع سنين جزية من سبع بنات وسبعة شبان ،
يلتمها الميناتور ، فلما حل الموعد الثالث للوفاء بهذه الجزية المذلة عمل ثسيوس
الوسيم على أن يكون هو من بين السبعة الشبان ، ورضى أبوه الملك إيجيوس
بذلك على كره منه شديد ؛ وكان ثسيوس قد صمم على قتل الميناتور والقضاء
بذلك على هذه التضحية المتكررة . وأشفت أدريدنى على الأمير الأثيني ،
وأحبه ، فأعطته سيفاً مسحوراً وعلمته حيلة بسيطة هي أن يفك خيطاً
مطويماً على ذراعه حين يدخل التربة . وقتل ثسيوس الميناتور وسار متبعاً
الحيط حتى جاء أدريدنى وأخذها معه حين هرب من كريت . فلما وصلا
إلى جزيرة نكسوس Naxos تزوجها وفاء بوعد ، ولكنه غدر بها فأقنع
هو ورفاقه ، من الجزيرة في أثناء نومها (٥٢) .

وبعد أدريدنى ومينوس تخنتي كريت من التاريخ وتظل محتضبة حتى يأتي
ليكورج Lycurgus إلى الجزيرة ، ولعل ذلك كان في القرن السابع قبل
الميلاد . وثمة شواهد على أن الآخين قد وصلوا إليها في أثناء غارتهم
الطويلة على بلاد اليونان في القرنين الرابع عشر والثالث عشر ؛ ولقد
استوطنها الغزاة الدوريون في أواخر الألف السنة الثانية قبل الميلاد .
ويقول كثيرون من الكريتيين وبعض اليونان إن ليكورج وجد فيها أمثلة
يحتذ بها في قوانينه ، كما وجد صولون أمثلة لقوانينه هو أيضاً وإن لم تبلغ
من الكثرة مبلغ ما وجدته ليكورج . وكانت الطبقات الحاكمة في كريت
بعد أن سيطر الدوريون على الجزيرة ، تحيا حياة البساطة والتقشف في
الظاهر إن لم تكن في الواقع ، شأنها في ذلك شأن أسبارطة . وكان الشبان
يربون تربية عسكرية ، وكان الكبار من الرجال يأكلون مجتمعين في أهاء
كبرى معدة لهذا الغرض (*) .

(*) يمد الأثينيون هذا كله تاريخاً ، وقد ظلوا عدة قرون يحتفظون بالسفينة التي ساء
فيها ثسيوس من كريت ويريمونها كلها أصيبت بأذى ، ويتخذونها سفينة مقدسة يرسلون فيها
الرسل في كل عام للاحتفال بعيد أبولو في ديلوس . (٥ - ١ - ج ٢)

وكانت البلاد يحكمها مجلس من شيوخ المدينة ويصرف أمورها عشرة مؤمرون Kosmci يشبهون الإفورين Ephor في أسبارطة والأركونين Arckons في أثينة^(٥٤). وليس من السهل علينا أن نحكم هل أخذت أسبارطة ذلك النظام عن كريت أو أخذته كريت عن أسبارطة ؛ وربما كان النظام في المدينتين نتيجة محتومة لظروف متشابهة — هي الحياة المزرعة التي كانت تحياها طبقة عسكرية أرستقراطية من غير أهل البلاد بين أهلها الأقدان المعادين لها. ويلوح أن قوانين جورتيانا Gortyana المستنيرة نسبياً ، والتي وجدت على جدران تلك المدينة الكريتية ، قد وضعت في بداية القرن الخامس ؛ وليس بعيد أن تكون هذه القوانين ، في صورة لها أقدم منها ، قد أثرت في المشترعين اليونان . وكان ثاليتاس Thaletas الكريتي يعلم الموسيقى في أسبارطة في القرن السادس قبل الميلاد ، كما كان ديبونس Dipoenus وسكليس Scyllis المثلان الكريتيان يعلنان فنانى أرجوس Argos وشيسيون Sicyon . وملاك القول أن الحضارة القديمة كانت تفرغ مشتملاتها بعشرات العشرات من القنوات في الحضارة الجديدة .